ASOS JOURNAL

The Journal of Academic Social Science

Akademik Sosyal Araştırmalar Dergisi, Yıl: 9, Sayı: 121, Ekim 2021, s. 79-87

ISSN: 2148-2489 Doi Number: <http://dx.doi.org/10.29228/ASOS.52418>

Yayın Geliş Tarihi / Article Arrival Date
21.08.2021

Yayınlanma Tarihi / The Publication Date
29.10.2021

Dr. Öğr. Üyesi Ahmed ALDYAB
Ankara Yıldırım Bayazıt Üniversitesi
ahmad.adyab@gmail.com
Orcid: 0000-0002-9497-9197

أَجْزُومُنَا فِي نَارِقْلَا رَاوَحْلَا لِيَلْحَتَنَ آرَقْلَا رِيَسْفَتَا فِي لِيَلْحَتَلَا جَهْنَمَلَا
المخلص:

القرآن مادة حيّة لكل المناهج القديمة والحديثة، فهو يعتبر منبع المعرفة والعلم، فمنذ القديم طبق المفسرون مناهجهم على القرآن، فمنهم من اتّبع المنهج الوصفي، فأخذ يفسّر الموضوعات التفسيرية وفق أقوال الصحابة ووفق السماع والنقل، فكان هؤلاء العلماء يتبعون الروايات المختلفة لتفسير الآية. وفي الحقيقة هذا المنهج هو منهج آمن في تفسير الآية، فصاحب هذا المنهج يسير على طريق سهل لا يوجد فيه عناء ولا مشقة، فعمله يجمع وينقل وفي النهاية يحاول أن يؤلف بين هذه الأقوال والمنقولات. ومن العلماء من اتّبع المنهج الشمولي في تفسير القرآن، فحاول أن يستفيد من علم النفس والتاريخ والمكان والزمان وعلم الاجتماع واللغة وأخذ يُدْجِل النواحي الفلسفية في التفسير، وربما يكون هذا المنهج أقرب إلى التفسير بالدراية. من المناهج التي طبقها بعض من فسّر القرآن هو المنهج البنيوي، وهذا المنهج يعتمد على التحليل اللغوي في القرآن. وفي العصر الحديث بدأ بعض الباحثين ينظر إلى القرآن من جمالية الكلمة الصوتية، فبدأ يفسّر القرآن وفق النواحي الصوتية للحروف والكلمات والجمل. ويأتي هذا البحث ليضيف منهجاً جديداً يمكن أن يستفيد منه الباحثون في إيجاد نواح جمالية في تفسير القرآن الكريم. هذا المنهج هو المنهج التحليلي في تفسير الكلام والمحادثات الحوارية، ويعتمد هذا المنهج على تحليل الحوار وفق المنهج اللغوي والنفسي والاجتماعي والفلسفي، فيقوم بتحليل الكلام إلى وحداته ويظهر النواحي الجمالية والمعاني التفسيرية في الآية، ويعتمد هذا التحليل على السياق، فالسياق أداة مهمة في تحليل الكلام وبدونه لا يمكن أن نصل إلى هدفنا من تحليل الكلام. هذا المنهج يمكن أن يستخدم كل الإمكانيات ليصل إلى هدفه، فيمكن أن يستخدم طاقة الحرف وخصائصه ويمكن أن يستخدم الصوت في فهم مدلول الآية وتفسيرها.

الكلمات المفتاحية: التفسير، التحليل، اللغة العربية، السياق، المنهج، البلاغة

KUR'AN TEFSİRİNDE ANALİZCİ METOD “BİR MODEL OLARAK KUR'AN DİYALOGLARININ ANALİTİK METOD İLE İNCELENMESİ”¹

Öz

Kur'an-ı Kerim bütün klasik ve modern metotlar için canlı bir içerik olmakla birlikte ilim ve irfan kaynağıdır. Müfessirler eski zamanlardan beri çeşitli tefsir metotlarını Kur'an-ı Kerim'e uyarlamışlardır. Bir kısmı betimsel araştırma yöntemini kullanmış ve tefsir konularını sahabelerin sözlerine, nakle ve işitmeye dayalı tefsir etmeye başlamışlardır. Nitekim bu bilginler ayet tefsirinde de çeşitli rivayetleri izlemişlerdir. Aslında onların bu tutumu ayet tefsirinde sağlam ve güvenilir bir metot sayılır. Bu metodun taraftarı meşakkat ve zahmeti olmayan kolay bir yolda ilerler, onun yaptığı esasen derleme ve nakletmedir. En sonunda bu söz ve nakilleri birleştirmeye çalışır. Kimileri de Kur'an-ı Kerim'in tefsirinde nitel araştırma yöntemini benimsemiştir. Psikoloji, tarih, yer ve zaman bilimi, sosyoloji ve filolojiden yararlanmış, tefsire felsefi bakış açılarını dahil etmiştir. Bu metot dirayet tefsirine daha yakındır. Kur'an-ı Kerim'i tefsir edenlerin uyguladığı metotlardan birisi de yapısal araştırma yöntemidir. Bu yöntem Kur'an-ı Kerim'in dilsel analizine dayanır. Modern çağda bazı araştırmacılar Kur'an-ı Kerim'deki kelimelerin estetik fonetiğine yönelmiş, Kur'an-ı Kerim'i harf, kelime ve cümle fonetiği bakımından tefsir etmeye başlamıştır. Çalışmamızda araştırmacıların Kur'an-ı Kerim'in tefsirinde estetik yönler bulma konusunda yararlanacağı yeni bir metot getirmeye odaklanılmıştır. Bu metot söz ve diyalogların tefsirinde analiz temellidir. Filolojik, psikolojik, sosyolojik ve felsefi esaslar doğrultusunda diyalogların analizine dayanır. Bu metotta cümle öğelerine ayrılarak analiz edilir, ayetin estetik yönleri ve tefsir bakımından anlamları ortaya çıkarılır. Söz konusu metot bağlam üzerine kuruludur vebağlam cümle analizinde önemli bir araçtır. Onsuz cümle analizinde istenilen hedefe varılamaz. Hedefe ulaşma konusunda bütün imkanların değerlendirildiği bu yöntemde, harflerin enerjileri, özellikleri ve sesleri kullanılır. Böylece ayetin mana ve tefsirinin anlaşılması sağlanır.

Anahtar kelimeler: Tefsir, Analiz, Arapça dili, Bağlam, Metod, Retorik,

THE ANALYSIS OF QURANIC DIALOGUES THROUGH ANALYTICAL METHOD AS A MODEL

Abstract

The Qur'an is lively content for all classical and modern methods, as well as a source of knowledge and wisdom. Interpreters have adapted various interpretation methods to the Qur'an since ancient times. Some of them used the descriptive research method and have started to interpret the subjects of interpretation of the Qur'an (tafsir) based on the words of the Companions, narration, and hearing. As a matter of fact, these scholars have followed various narrations in the interpretation of the verse. In fact, their attitudes are considered as a sound and reliable method in verse interpretation. The follower of this method proceeds in the easy way that is

¹ Bu çalışma yazarın doktora tezinden üretilmiştir.

not difficult and tough, what one does is mainly compilation and transmission. At the end of this process one tries to combine these words and narrations. Others have adopted the qualitative research method in the interpretation of the Qur'an. They have drawn from psychology, history, the science of space and time, sociology, and philology. Thus they have embodied their philosophical perspectives in tafser. This method is closer to dirayah tafser. One of the methods applied by those who interpret the Quran is the structural research method. This method is based on linguistic analysis of the Quran. In the modern era, some researchers have tended to the aesthetic phonetics of the words in the Qur'an and have begun to interpret the Qur'an in terms of the letter, word, and sentence phonetics. In this study, it will be focused on bringing a new method that researchers will utilize in terms of finding aesthetic aspects in the interpretation of the Qur'an. This method is based on analysis in the interpretation of words and dialogues. It is based on the analysis of dialogues in line with philological, psychological, sociological, and philosophical principles. In this method, the sentence is analyzed by dividing it into elements, and the aesthetic aspects of the verse and its meanings in terms of tafser are found out. The method is based on context and, this context is an important tool in sentence analysis. That's why the intended goal cannot be achieved without the context in sentence analysis. Hence, the meaning and interpretation of the verse (ayah) is provided to understand.

Keywords: Interpretation, Analysis, Arabic, Context, Method, Rhetoric,

المقدمة

منهج تحليل الكلام هو منهج يعتمد على تحليل الكلام لغوياً وأسلوبياً وبلاغياً وسياقياً، فهو يسخر جميع إمكانيات الآية لتفسيرها واستنباط المعاني الممكنة. ويتصل هذا المنهج بكل أنواع التفسير والعلوم الأخرى، فيمكن أن يستفيد من التفسير بما يحتويه من علوم مثل أسباب النزول والمدنيو المكي وأقوال الصحابة والتابعين ويمكن أن يأخذ من علم الحديث ومن علوم اللغة العربية، وحتى أن هذا المنهج يمكن أن يستخدم العلوم الاجتماعية الأخرى كعلم النفس والتاريخ والجغرافيا والرياضيات.

ويقوم هذا المنهج على تحليل الشخصيات ومنطوقاتها من الناحية النفسية والعقلية ويقوم أيضاً على تحليل المكان ويوضح أثر المكان في تفسير الآية ويشرح ماذا أضاف المكان جديداً على تفسير الآية، وفي نفس الوقت يقوم على تحليل الزمان، فالزمان عنصر مهم في فهم الآية ومعانيها. ويعتمد هذا المنهج على السياق اعتماداً وثيقاً، فلا يمكن أن نفسر الآية بمعزل عن سياقها.

وأداة هذا المنهج هي اللغة، فعن طريق اللغة أستطيع فهم الشخصيات والمكان والزمان والسياق، فاللغة هي المحرك الأساسي لهذه العناصر، وبقدر ما يمتلك الباحث من اللغة العربية بقدر ما يستطيع أن ينفذ إلى العمق وبالتالي يستطيع أن يحلل ويستنبط المعاني الممكنة (ميرتاج، 2013: 34).

إن معظم المناهج النقدية الحديثة اتخذت من التحليل أداة للنفاذ إلى المعنى، فالمنهج النفسي اتخذ التحليل ليدخل إلى نفسية المتكلم والسامع والقارئ، فإذا استطعنا أن نفهم نفسية المتكلم عن طريق تحليل كلامه فإننا بالتأكيد سوف نفهم المعنى المقصود. والقرآن كما نعرف فإنه يحتوي على شخصيات كثيرة ومتنوعة وهي متمثلة بالأنبياء وبأقوامهم ومتمثلة أيضاً بالنساء والأطفال والشباب وغيرهم، فهذه الشخصيات توفر للمنهج النفسي الذي يعتمد على التحليل مادة خصبة لاستنباط المعاني الممكنة.

ولو نظرنا إلى المنهج البنيوي الذي اعتمد على اللغة في تفسير الكلام واستنباط المعاني منه فإننا نجد أن هذا المنهج يعتمد اعتماداً كلياً على التحليل، فهو يحلل الكلمة إلى أبسط أحوالها ومن ثم يقوم بتحليل الجملة إلى بسيطة وعميقة، وهو بذلك يكون قد وضع داليتين للكلام على سبيل الفهم الأولي والفهم العميق.

وعلى نفس الوتيرة سار المنهج التفكيكي الذي يدل من اسمه على تفكيك الكلام وتحليله. وقد كان لهذا المنهج حظ كبير في الدراسات الحديثة لما له من أفكار تعيد إنتاج النص الأدبي أو الديني أو الاجتماعي. والمنهج التفكيكي سيطر على معظم علماء التفسير المعاصرين، فهذا المنهج يفكك الكلام ثم يُعيد إنتاج الدلالة وفق مفاهيم جديدة.

المشهد الأول: الحوار بين موسى وفرعون

جاء في سورة الشعراء الحوار بين سيدنا موسى وفرعون (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ 18) الشعراء

من خلال هذه الآية والنظر إلى البنية العميقة للحوار نجد أن فرعون حاول أن يستعطف موسى في بداية الحوار بتذكيره بنعمته عليه بالتربية وفي نفس الوقت حاول تخويفه من الجناية التي ارتكبها موسى عندما قتل القبطي. وبهذا يكون فرعون قد وضع سبباً وجيهاً لينال من سيدنا موسى.

في كلام فرعون ثلاث نقاط مهمة، النقطة الأولى: هي أن فرعون ينظر بميزان المصلحة وميزان الربح والخسارة، فكانه يقول: أنا رببتك في بيتي فيجب أن تكون طائعاً لي منقاداً لأوامري. النقطة الثانية هي إظهار فرعون نفسه بمظهر القوة والقدرة وبالمقابل وضع سيدنا موسى في موقف ضعيف، حيث ذكره بمقتل القبطي. النقطة الثالثة وهي رمي الكرة إلى ملعب سيدنا موسى وجعل الحوار يتجه إلى طريق آخر، فسيدنا موسى عندما قال مع هارون (إنا رسول رب العالمين) انصدم فرعون بهذا القول وأراد أن يكبل موسى بالجزم وبكفر النعمة وأراد أن يرهبه بفعله.

وقد جاء التذكير باسم الموصول عن الفعلة (وعلت فعلت التي فعلت) لأنه يريد أن يقول أنا أعلم وأعرف حقيقة (ابن عاشور، 111:1984)، وهذه الحال مشابهة لمواقف في أيامنا، فعندما أعرف من شخص أنه فعل شيئاً خطأ ولا يعرف هذا الشيء إلا أنا، فعندما أتكلم معه أقول له: أنا أعرف ما فعلت، باسم الموصول وهذا أبلغ في التهديد وأبلغ لأن فرعون أعطى لنفسه القوة والمعرفة في ذلك. وهدف فرعون من هذا القول هو جعل الكلام يخرج صعباً من فم موسى، وهذا واحد من مبادئ الأساس النفسي في المحادثة والحوار، فهو عندما ذكره بقتل القبطي أراد أن يُصيبه بصدمة نفسية فلا يستطيع سيدنا موسى إخراج الكلام الذي يريده (ابن عطية، 472:1992)، لكن سيدنا موسى لم يستجب لنوايا فرعون وأغلق عليه الباب بسبب رباطة جأشه وإيمانه العميق بأنه رسول من الله تعالى ولاعتقاده الراسخ بأن فرعون يظلم ويُفسد في الأرض وأنه لا يمكن أن يكون إلهاً، فقد اعترف موسى بفعله الذي نشأ عنه خير لموسى بعد ذلك.

وفي الحقيقة هذا المنهج الذي اتبعه موسى هو منهج نفسي يمكن أن يدرّس في المدارس، فالإقرار بالذنب والخطأ يُغلق الباب على من يريد الابتزاز والفتنة، ففرعون ذكر موسى بشيئين، الأول: التربية والنعمة، والثاني: هو قتل موسى القبطي (التوحيدي، 10:1993)، لكن سيدنا موسى بدأ بالإقرار ولم يلتفت إلى موضوع التربية والنعمة، فهو عندما قال (قال فعلتها إذا وأنا من الضالين) أراد أن يرسل رسالة لفرعون أن التأثير النفسي لقول فرعون لم يُفلح في إسكات موسى، بل على العكس تماماً جاء الإقرار من سيدنا موسى عبارة عن صدمة لفرعون.

وقد كانت سرعة الإقرار متمثلة بتقديم الفعل (فعلتها) على (إذا) الذي هو حرف جواب وجزاء (الزمخشري، 382:1407)، وبذلك أظهر موسى لفرعون بأنه غير خائف من فعلته.

المبدأ الثاني في الأساس النفسي والذي كان هدف فرعون من ورائه هو الاضطراب في إخراج الكلام، فكان فرعون أراد أن يجعل موسى في زاوية ضيقة ويجعل طاقته الكلامية قليلة ومضطربة، فسيدنا موسى عندما جاء مع أخيه هارون وقال لفرعون (إنا رسول رب العالمين)، فرعون لم يسرع في إنكار موضوع رسالة موسى وأنه يوجد إله ورب لهذا الكون غير فرعون، وإنما أراد أن يجعل كلام سيدنا موسى مضطرباً حتى يكون إبطال رسالة موسى وأنه لا يوجد إله غير فرعون من قبل موسى نفسه. فعندما يكون الكلام مضطرباً تكون الدعوى باطلة من أساسها، وهذا ما أكدته الاستفهام التقريري الذي استخدمه فرعون في كلامه (ألم نربك فينا وليداً) وكان فرعون يطلب من موسى أن يُقر أن يجحد النعمة والتربية التي أسبغها قوم فرعون على سيدنا موسى (البغوي، 109:1989)، وبهذا تكون دعوى موسى باطلة، لأن كلامه لا يسير وفق المنطق والحقيقة من وجهة نظر فرعون وأهدافه الخبيثة.

بدأ يشعر فرعون أنه لم يفلح في جعل طاقة كلام موسى تقل ولم يستطع إخماد التوهج الإيماني في كلامه وأصبح فرعون يحس أن موسى بدأ بالهجوم وأنه يمتلك القدرة على إلغاء فكر فرعون وكشفه أمام قومه ولذلك فرعون كان مُدركاً أنه إذا لم يضع عوائق أمام موسى فإن موسى سينتصر في الحوار وسيؤدي ذلك إلى إقناع موسى قوم فرعون بتركه والابتعاد عنه.

ومن الأساليب التي استخدمها فرعون لإعاقة حديث موسى:

1- السخرية والاستهزاء:

وكما يُقال: السخرية هي بضاعة المفلسين، فإن فرعون كان حريصاً على هذه النقطة ويبدو ذلك جلياً في الحوار الذي دار بين موسى وفرعون (قال فرعون ومارب العالمين 23 قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين 24 قال لمن حوله ألا تستمعون 25) الشعراء

فرعون أراد أن يسخر من كلام موسى بقوله لمن حوله (ألا تستمعون) وكأنه يريد أن يقول استمعوا لهذا الكلام مرة أخرى، فهو كلام لا يتناسب مع الواقع والماضي. والمستمع لهذه العبارة يشعر أن فرعون كان يتعجب و كان يضحك ويطلب ممن حوله أن يبدؤوا بالضحك (القرطبي، 2006:93)، ولذلك جاءت الآية بالاستفهام الطلبي وهو يريد ممن حوله الاستماع مرة أخرى، لأن ذلك مثير للضحك والاستمتاع.

سيدنا موسى ما نفى قول فرعون وما استجاب لطلبه بأن يعيد موسى نفس الكلام، لكننا نجد موسى بأسلوبه القوي وحواره المنطقي يُقر حقيقة أخرى عندما قال (قال ربكم ورب آبائكم الأولين) 26 الشعراء وهو بذلك يقوم بمجادة خصمه في بناء الحوار وتوجيهه.

2- رمي فرعون موسى بالجنون والعتة:

الحوار بين موسى وفرعون يتطور ويأخذ شكل الجدبة وهذا ما أدركه فرعون، فنسب موسى إلى الجنون (الطبري، 1991:345). وفرعون يريد أن يقول إن موسى بدأ يدخل في مرحلة العتة والجنون. والملاحظ في قول فرعون أنه جعل موسى رسولاً إلى قومه ولم يجعله رسولاً لفرعون أيضاً فقال (قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) الشعراء 27 وهو بذلك لا يزال في كبريائه وعناده ولا يريد أن ينزل من هذه المرتبة التي وضع نفسه فيها (أبو السعود، 2015:239).

سيدنا موسى كان واعياً لهذا الخطاب ولهذا الحوار الذي يديره موسى بحرفية بالغة. موسى لم ينف عن نفسه تهمة الجنون مباشرة ولكنه جعل هذه الصفة في فرعون وقومه، فهو يريد أن يُبطل دعوى فرعون بإثبات صفة عدم العقلانية في عبادتهم لبشر مثلهم (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) 28 الشعراء.

3- الوعيد والتخويف والتهديد:

أحداث الحوار تتسارع وتصل إلى نقطة الوعيد والتهديد. من هذا الأسلوب يمكن أن نستشعر المأزق الذي كان فيه فرعون (الشوكاني، 1056:1349)، فهو يرى أن الأمور تقلت من يديه لصالح موسى ولم يبق أمامه إلا التهديد والوعيد والتخويف لربما يرجع موسى عن دعواه ولربما يجعل كلامه يدخل في الاضطراب والتردد.

فرعون حاول أن يصعد الحوار بقوله (لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) 29 الشعراء. موسى أدرك من خلال قول فرعون أنه أوصل فرعون إلى نقطة الخروج عن السيطرة، فهو لم يعد يحتفل برودة أعصاب سيدنا موسى، فقام موسى بتخفيف لهجة الحوار وتنويعها ليظل مسيطراً على الموقف، فهو يحاول أن يستخدم جميع فنون الحوار وأساليبه، فنراه يصعد اللهجة ومرة يخففها. ومن هنا كان رد سيدنا موسى على لغة تهديد فرعون بإعطاء الأدلة المثبتة والحقائق الواقعية (قال ألو جنئك بشيء مبين) 30 الشعراء.

موسى لم يتوان عن تقديم الأدلة متراسلة مع بعضها، لأنه علم مدى استكبار فرعون وعناده، فأراد أن يوجه ضربة قاصمة له من خلال معجزتين باهرتين، معجزة العصا ومعجزة اليد، لكن ككل الطغاة والمستكبرين لم يستجب فرعون لهذه الحقائق واستمر في عناده واستكباره.

4- التعصب والاستكبار:

وهما من عوائق الحوار اللذان يجعلان الخصم يشكك في دعواه وكلامه فيدخل الشك لوهلة في قلب الخصم ويجعله يفكر ويقلب كلامه لعله يكون هو المخطئ.

فرعون بعد أن استنفد طاقته ولم يعد يسيطر على نفسه أدار الحوار ووجه المعركة الكلامية لتكون بين موسى وقوم فرعون، فهو في الحقيقة أراد أن يستعين بملائه على موسى، فكان رمي فرعون موسى بالسحر هو الأنسب لما كان لموضوع السحر في ذلك الزمان من أهمية وانتشار، فقال فرعون (قال للملا حولي إن هذا لساحر عليم 34 يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون 35) الشعراء.

المشهد الثاني : محاوره نوح مع قومه

من خلال تحليل محاوره نوح مع قومه تبين أنها تحتوي ثلاث نقاط مهمة.

النقطة الأولى : كانت دعوته مع قومه تشمل جوانب اللطف والرحمة. النقطة الثانية : كان ينوع في أساليب الدعوة . النقطة الثالثة: اتبع نوح مع قومه أسلوب الترغيب والترهيب.

1- دعوته مع قومه باللطف والرحمة: مما بلغت الانتباه في قصة نوح مع قومه هي أنها كانت طويلة ومتنوعة الأساليب والكيفيات والأحوال مستلزمة أزمنة مختلفة وأوقاً متنوعة، دراسة نفوس المخاطبين. وربما كانت هذه حال دعوة نوح هكذا لأنه كان أول رسول أرسل للناس، ولهذا كان لابد من أساليب مختلفة لإقناع هؤلاء الناس، فدعا قومه بالليل والنهار ودعاهم سراً وجهراً، علانية وخفية، اقترب إلى نفوسهم ودرس أحوالهم فاستخدم معهم أسلوب الترغيب والترهيب، أسلوب تذكير النعمة والفضل واستخدم معهم أسلوب المحاوره اللطيفة وأسلوب الجدل والحوار مستغرقاً الأوقات والطاقات.

فدعوة سيدنا نوح استمرت ألف سنة إلا خمسين عاماً لم يكلّ ويملّ ولم يفتر وإنما كان دأبه الدعوة ونصح قومه وتذكيرهم بالألاء والنعم وتخويفهم من العقاب والعذاب ولم يكن فظاً غليظاً، وإنما كان يمتلك الشفقة والرحمة تجاه قومه وكان يمتلك اللطف في المحاور، وهذا يحسب لسيدنا نوح، فهو على الرغم من عناد قومه ومن استغراق وقت طويل في نصحهم، إلا أنه كان لطيفاً بهم رحيماً بأحوالهم.

يقول الله تعالى (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا مالك من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) نلاحظنا من الآية أنها تتكلم على أسرة، نوح منها وقومه منها، وكان نوحاً قد جعل كل قومه أسرته وعياله، فبدأ خطابه لهم بالنسب (يا قوم). (ابن عاشور، 188:1984) وبعد ذلك ذكر خوفه عليهم من العذاب الذي سيصيبهم إن لم يؤمنوا بدعوته، وهذا ما دللت عليه آية أخرى حيث نرى أنه كان يستشعر حجم العذاب الذي سيصيبهم فجعل نفسه واحداً من قومه (إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) فالآية أن نوحاً أخوهم، والأخ يحاول أن يدفع عن إخوته التعب والنصب والشقاء والعذاب.

الآية تحمل دلالات اللطف والشفقة والتأدب في الدعوة، وهذا ما أكدته أداة العرض التي تعرض الإيمان والتقوى بشكل لطيف دون عنجية وقساوة. وهذا اللطف نجده في آيات كثيرة في دعوة نوح (قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون)هود28، فاللطف والأدب في الدعوة جاء في أعلى صورته، فهو ينسب نفسه إليهم (يا قوم) ثم يعرض الفعل "أرايتم" بهزمة العرض اللطيف، (ابن عطية، 565:1992) ثم يستخدم "ربي" والرب هو الذي يربي ويلطف ويرحم عباده ثم نجد كلمات تدل على الرحمة بعينها، فذكر كلمة الرحمة، رحمة بهم وشفقة عليهم، ثم يأتي اللطف في قمنته وذروته حيث لم ينسب الجهل والضلالة لهم مباشرة، فذكر الفعل في صيغة المجهول (الحلي، 314:2008). وكان أعينهم مفتوحة وواعية ولكن لسبب من الأسباب أصبحت عيونهم عمياء.

هذا الحوار يُستفاد منه في أساليب التعليم والدعوة للآخرين. وقد كان تنذير الآية على غير المتوقع، فالسامع كان ينتظر تهديداً في نهاية الكلام أو كان ينتظر شيئاً آخر، لكن سيدنا نوح جعل الدعوة بالحب ودخول الدين دون إكراه وإلزام.

2- التنوع في أسلوب الدعوة والحوار

وهذا التدرج يمكن أن يُستشف من حوارهِ ودعوته وخطابه، فقد كان نوح ينوع في الأساليب والأزمنة والأحوال، وهذه الأحوال الثلاثة لا بد لكل داع أن يسلكها ولا بد لكل مُرب أن يتبعها. فسيدنا نوح لم يحاور قومه طيلة مدة عيشه على أسلوب واحد وهذا ما تدل عليه الآية (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبِلاً وَنَهَاراً (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً (6) وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَعْفُوا لَهُمْ جَعَلُوا أصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَمُوا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَاراً (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً (9) نوح

والسؤال : لماذا كان ينوع نوح أساليب دعوته؟ سيدنا نوح عاش ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو بذلك اكتسب خبرة بنفوس الناس، فهو شاهد وعاین أقواماً مختلفة وأناساً كثيرين فاصبح يمتلك خبرة في طبائع البشر ونفوسهم. هذا من جهة ومن ناحية أخرى عوامل التطور الحضاري والمكاني والاجتماعي كانت تفرض على سيدنا نوح تغيير أسلوب الدعوة ومخاطبة الناس بحسب نفوسهم وعقولهم.

فمن الناس في ذاك الزمان من كانت تنفع معه النصيحة بالخفاء أي بالليل، فبعض الناس يكون ذهنه مشغولاً في النهار ولا يلتفت بعقله إليك وبالتالي لا يجد الداع نفعاً في محاورته من كان عقله مشغولاً وذهنه ممتلئاً بأحوال الدنيا ومعاشها. ومنهم من يجد نفسه شجاعاً فيقبل النصيحة بالنهار وبالعلن (ابن عاشور، 194:1984). وبالعكس ربما يكون بعض الناس عقولهم مشغولة في الليل ولا يقبلون النصيحة ولا يريدون السماع في هذا الوقت، فكان سيدنا نوح ينوع في الأوقات وكذلك ينوع في كفايات الدعوة، فكان يدعو بعض الناس بالعلن وكان يدعو بعضهم بالخفية، فالناس أقسام، منهم من تأخذه العزة فلا يقبل كلام الداعي بالعلن، فتسيطر عزة قومه عليه، وهذا ما نراه في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان يدعو بعض أقاربه فما كانوا يستجيبون له ، لا لانه ليس على حق وإنما لأن عزة قومهم كانت تأخذهم بالإثم. ومن جهة أخرى كان يدرك سيدنا نوح أن بعض الناس يمتلك الشجاعة وأنه إذا أمن بفكرة فإنه لا يخاف من قومه ولا يخشى عزهم، وهذا ما نراه أيضاً في دعوة الرسول الكريم عندما آمن معه عمه حمزة، فما كان يابيه لقومه لأنه اقتنع بفكر الرسول الكريم.

المشهد الثالث: الاستدلال المنطقي للحوار عند إبراهيم

قوله تعالى:

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهِنَّ بَلْ أَتَيْنَا بِكُفْرٍ كَبِيرٍ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) الأنعام

لا شك أن حوار سيدنا إبراهيم في القرآن يعد من أهم الحوارات في القرآن لما يحويه من استدلال وحجج وبراهين ولما احتوت عليه دعوته من نبذ الشرك ومحاربة الأصنام ومجادلة الباطل بكل ما أوتي من قوة. وقد جاء الحوار على لسان إبراهيم

في مواضع كثيرة في القرآن وفي أحوال مختلفة، فنجد مثلاً أن إبراهيم حاور قومه وحاوَر أباه وحاوَر النمرود، وكانت له حوارات متقطعة مع ابنه إسماعيل ومع الملائكة التي جاءت إلى سيدنا لوط، ولاننسى حوارَه مع الله عز وجل.

واللافت للنظر في جميع حواراته أنها كانت تسيّر بشكل منطقي حاملة في ثناياها اللطف النبوي والأدب الأخلاقي. ولكي ندلل على ذلك ساقوم بتحليل حوار سيدنا إبراهيم مع قومه حول استدلاله على ربه، فسيدنا إبراهيم جادلهم وحاوَرهم حول الأصنام التي كانوا يعبدونها وهي الكواكب (القرطبي، 2006: 25)، فكما نعرف أن قومه كانوا من الصابئة وهم عبدة الكواكب، فقد اختار سيدنا إبراهيم وقت المساء وقت ظهور الكواكب. فعندما رأى كوكباً لامعاً (قال هذا ربي) وهذه العبارة يمكن أن نقف عليها عدة وقفات من خلال تحليلها، فلرب سائل يسأل: كيف ينطق سيدنا إبراهيم بأن الكوكب ربه؟ فهذه عبارة صريحة، لكن سيدنا إبراهيم قال هذه العبارة لأنه يريد أن يجاري خصمه، ومجارة الخصم في الحوار تقوم على قبول فكرته مبدئياً ومن ثم ينقضها من أساسها، فكان سيدنا إبراهيم يقول لقومه أنا سأفترض هذا الكوكب هو ربي، والرب كما هو معروف لا يجب أن يغيب عن عباده وملكه ويجب أن يكون معهم دائماً.

ومفهوم مجارة الخصم في تحليل الكلام والحوار هو نقطة يفترضها المتحاور جدلاً وافترضاً لكي يقوم بإقناع الطرف الآخر بخطنه وبطلان فكره، فالمحاور من خلال هذا يستطيع أن يأخذ بزمام خصمه إلى الطريق لتبدأ المحاور الطيبة والمنطقية والتي يمكن أن تثبت صحتها أو بطلانها التجربة والعقل، فمثلاً عندما يقول لي إنسان إن الكهرباء ليست خطيرة، فأنا أفترض أن الكهرباء ليست خطيرة وأقبل فكره مبدئياً إلى أن أقوم بتجربة وأريه أن الكهرباء تصعق من يلمسها.

وفي الحقيقة في هذا المنهج فوائد كثيرة: وهي أن الخصم بعد ذلك سيقوم بالتسليم لي في أفكار أخرى دون العناد والمناقشة. وفائدة أخرى هي أن الخصم سيكره فكره الأول كرهاً شديداً وسيبتعد عنه كثيراً وربما لا يفكر به على الإطلاق بعد الاستدلال الصحيح. وهذا ما كان يهدف إليه إبراهيم من خلال هذا المنهج.

الشيء الثاني اللافت للنظر في هذه العبارة (هذا ربي) يمكن أن نستشفه من البلاغة والنحو، فهذه جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر. وفي علم البلاغة عندما يكون المبتدأ معرفة والخبر معرفة فإن هذا يفيد الحصر في اللغة، ومعنى هذا: فعندما أقول إنسان يجادلني في أن أباه رحيم وأنا أجعله بأن أبي رحيم، فإذا قال هذا الشخص إن أبي رحيم فقد أثبت الرحمة لأبيه وتكون الرحمة موجودة في الآباء الآخرين، وعندما أقول "إن أبي الرحيم" فأكون قد حصرت الرحمة بأبي فقط وتكون الرحمة غير شاملة للآباء الآخرين. ماذا نستفيد من هذا الكلام في استدلال إبراهيم على ربه، الظاهر أن سيدنا إبراهيم عندما عرّف طرفي الجملة فقد أثبت حقيقة وحصر أن هذا الكوكب ربه، لكن سيدنا إبراهيم أراد أن يُري قومه الإله الحقيقي وأنه لا يوجد لهذا الكون إلا إله واحد، فكان سيدنا إبراهيم يريد أن يقول: إذا فرضنا أن هذا الكوكب هو إلهكم فلا يجب أن يغيب ولا يجب أن يخفت نوره، فالإله غير قابل للتبدل والتحول والتغير وغير قابل للتعدد، وهذا ما حاول سيدنا إبراهيم إبرازه وإظهاره لقومه، فالكوكب عندما يغيب فإنه لا يكون مطّلعاً على ملكه ولا يكون حاكماً له، وعندما تتعدد الآلهة سيقع الناس في التناقض، وعندما يتغير ويتحول الإله فإن هذا معناه النقص وعدم الاكتمال.

وهذه النقطة التي بحثها إبراهيم مع قومه هي ذات النقطة التي حاول أن يستدل بها مع أبيه ومع النمرود، فمع أبيه عندما قال له (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك من الحق شيئاً) فالإله يجب أن يكون سمياً وبصيراً ومالك لجميع أنواع القدرة. ومع النمرود عندما قال (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) فهذا النمرود الذي طمس على أعين العباد حقيقة الإله كشفها إبراهيم خلال دقائق، فهو لا يملك القدرة على إتيان الشمس من المغرب، فهو عاجز والإله لا يجب أن يكون عاجزاً عن أي شيء.

سيدنا إبراهيم في استدلاله على ربه أثار نقطة مهمة عندما قال (فلما أفل قال لا أحب الأفلين) هذه النقطة هي ارتباط الإله بالهوى. فمعظم الذين عبدوا الأصنام والآلهة الأخرى كانوا يختارونها طبقاً لأهوائهم ورغائبهم الشخصية، والإله في عرف ومفهوم سيدنا إبراهيم لا يجب أن يكون هكذا، فاختيار الإله يجب أن تدخل فيه الإرادة والعقل لا الهوى والحب والرغبة. فالإله غير الله سبحانه وتعالى يرتبط بالحب والرغبة التابعة لهوى النفس، ولهذا في القديم كان المشركون يصنعون آلهة من مواد متعددة، فمنهم من يصنع إلهه من الحجارة ومنهم من يصنعه من الشجر ومنهم من يصنعه من الطعام كالتمر وغيره. وهذا بعد ذاته مناف ومناقض لمفهوم الألوهية الحقّة.

سيدنا إبراهيم حاول التعريض بقومه بطريق غير مباشر وهو يريد أن يقول لهم: إن ارتباط الإله بالحب غير منطقي ولا يليق به، ولهذا كان رده على هذا الفكر بقوله (لا أحب الأفلين). ومن هنا فقد قرر سيدنا إبراهيم حقيقة، وهي أن الإله لا ينبغي أن أعبد وفقاً لهوى الإنسان ورغبته، ولكن وفقاً للأحقية، فلا يمكن أن يقول إنسان إنني أحب الله أحياناً لأنه يعطيني ولا أحب الله أحياناً لأنه لا يعطيني، فهذا لا يدخل في مفهوم الألوهية التي قررها سيدنا إبراهيم والتي يقبلها العقل والمنطق.

الإله يجب أن يُحبّ في المنع والعطاء لأنه في النهاية عندما يعطي فإنه يعطي لمصلحة الشخص وعندما يمنع فإن هذا يكون لمصلحة الشخص أيضاً، الإله يعرف ويرى ويسمع، فهو يعرف الخير ويرى أحوال العباد ويسمع ما لا يسمعه الإنسان.

سيدنا إبراهيم حاول أن يختار الكوكب في مرحلتين متناقضتين ومتحورتين في طبيعتهما، فهو اختار القمر في مرحلة طلوعه فقال (فلما رأى القمر بازعاً). البازع هو النور الذي يكون محاطاً بالقمر في أكمل وجهه عند ظهوره ولا يستمر القمر على هذه الحال، فنوره سيخفت ويقل، فكان اختياره لهذه النقطة من الإشراق والسطوع مقصوداً لذاته، فهو يريد أن

يوصل أن الإله لا يمكن أن يتحول ويتغير، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد اختار سيدنا إبراهيم القمر، لأننا كما نعرف القمر عند بزوغه يكون نوره مشعاً ليقارن بين نور القمر والكوكب الذي تكلم عنه في المرحلة الأولى. وهو بذلك يُعَرِّض بعقول قومه وبالعقم الذي وصلوا إليه لمفهوم الإله.

فالإله لا يمكن ربطه بمسألة كثرة النور وقلتها، وإذا كان الأمر كذلك فإن بعض الحجارة تشع ويصدر منها أشعة، فهذا يمكن أن يكون إلهاً بحسب قوة نورها. ومن هنا جاء تعريض سيدنا إبراهيم بقومه في نهاية الآية بقوله (فلما أفل قال لنن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين). سيدنا إبراهيم بنى الجملة بصيغة عالية في البلاغة، فكما نرى تحتوي الجملة على كلمة الرب، فهو لم يقل إلهي، وإنما ذكر الرب، لأن الرب هنا تعني هو الذي يربيني ويحفظني ويهديني ويرشدني وهو الرحيم واللطيف. وعندما قال (لأكونن من القوم الضالين) فهو لم يقل لأكونن ضالاً وإنما نسب نفسه لقومه، لأنه كان همه وتفكيره بقومه كبيراً، فهو يريد أن تكون الهداية لجميع قومه وليست لنفسه فقط، وهو بذلك نسب قومه للضلالة بطريق التعريض.

انتقل سيدنا إبراهيم للاستدلال على ربه عن طريق كوكب الشمس، فقال (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا أكبر) ويمكن أن نرى أن الاستدلال هنا يسير وفق التدرج والمنطق. في موضوع القمر ذكر إبراهيم قضية التوهج والنور في كلمة "بازغاً" المقارنته بالكوكب الآخر، أما في موضوع الشمس فقد ذكر قضيتين، القضية الأولى البزوغ لمقارنتها ببزوغ القمر والقضية الثانية موضوع الكبر أيضاً لمقارنتها بالكواكب الأخرى، (ابن حيان، 1993: 165) فالشمس هي الكوكب الأكبر بين الكواكب، وهو يريد أن ينفي كل معتقدات قومه حول مفهوم الألوهية، فهو يريد أن ينقض مفهوم النور الذي كان يختاره بعض من يعبد الكواكب، فالألوهية لا ترتبط بالنور وإذا كانت كذلك فبعض الكواكب له نور وبعضها ليس له نور وبعضها يتحول نوره ويتغير. ويريد أن ينقض مفهوم الكبر في العبادة، فالقمر يمكن أن يكون أكبر من بعض الكواكب الأخرى، لكن الشمس أكبر من القمر، وإذا كان كذلك فإن مفهوم الإله سوف يتعدد ويتغير تبعاً لمفهوم الكبر.

لقد استغلّت دعوة إبراهيم كل قوانين التحليل المنطقي والاستدلال العقلي. ونبهت هذه الدعوة أنه يجب على الدعاة الذين يقومون بالدعوة إلى الله تعالى أن يتسلحوا بالمعرفة والعلم وطريقة الاستدلال. فمن الدعاة في زماننا من يدعو إلى الله تعالى، ولكنه لا يمتلك الصبر ولا يمتلك المعرفة الكافية، وحتى لو أنه امتلك المعرفة فإنه لا يمتلك المنهج والأسلوب الصحيح.

الخاتمة

لا بد من الإشارة إلى بعض النتائج التي استخلصها الباحث من تطبيق المنهج التحليلي في الحوار وأثره على التفسير الموضوعي

- تبين من خلال هذا المنهج أننا نستطيع أن نعيد تفسير القرآن وفق هذا المنهج بشرط أن يمتلك الباحث والدارس الأدوات المناسبة في ذلك وخصوصاً اللغة العربية وبلاغتها.
- يظن بعض الباحثين أن منهج التحليل هو منهج أدبي، لكني أقول لا علاقة بين المنهج التحليلي وبين المجال الذي يبحث فيه، فيمكن أن أستخدم هذا المنهج في كل مجالات المعرفة.
- منهج تحليل الكلام هو منهج لم يطبق على الموضوعات الدينية وخصوصاً التفسير، ولذلك قلّة من الباحثين من يعرف هذا المنهج، لأن له ارتباطات فلسفية من جهة وله ارتباطات بعلم المعرفة ككل.
- عند عرضي لهذا المنهج لم أتوسع كثيراً في النواحي التحليلية، وإنما عرضت لبعض الجوانب الضيقة كي لا أشتت ذهن القارئ وأخرج عن الموضوع كثيراً.
- من أخصب الموضوعات التي يمكن أن يُطبّق عليها منهج تحليل الكلام هو القصة القرآنية والحوارات داخلها.
- تبين لي من خلال عرض أجزاء القصة في القرآن أنه يمكن أن أستفيد من منهج تحليل الكلام في جمع أشنات القصة القرآنية في طوق واحد.

المصادر والمراجع:

- البغوي، الحسين بن مسعود، 1989، تفسير البغوي، الرياض، دار طيبة
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف بن حبان، 1993، تفسير البحر المحيط، بيروت، دار الكتب العلمية.
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، 1984، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.
- تفسير الطبري، ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، 1991، تحقيق: بشار عواد معروف- عصام الحرساني، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- الحلبين السمين، 2008، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دمشق، دار القلم.
- الرازي فخر الدين، 1981، مفاتيح الغيب، دمشق، دار الفكر
- الزمخشري، 1407، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار الكتب العربي.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، 1349، فتح القدير، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، أبو محمد، 1992، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، بيروت، دار الكتب العلمية.
- العمادي محمد بن أحمد، أبو السعود، 2015، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود) القاهرة، دار المصنف.
- قطب سيد، 1912، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق
- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 2006، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دمشق، مؤسسة الرسالة.
- مير تاج، فوزية، 2013، التحليل النصي في التفاسير القرآنية والموضوعية (دراسة تحليلية في ضوء منهج نحو النص)، رسالة دكتوراة، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد باكستان.